المسافة بين أصل الوضع والاستعمال في كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت (244هـ)

باب "مما يضعه الناس في غير موضعه"/ دراسة في التطور الدلالي

The distance between the origin of the situation and the usage in the book Islah Al-Logic by Ibn Al-Sakit (244 AH)

Chapter: "What people misplace"/a study in semantic development

إعداد: إيمان عبد الرحمن الزعبي

حاصل على الدكتوراه في الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية

تاريخ الاستلام: 2024/3/17 تاريخ القبول: 2024 /3/30 تاريخ النشر: 2024/4/15

الملخص:

هذه دراسة موسومة ب "للمسافة بين أصل الوضع والاستعمال، في كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت باب (مما يضعه الناس في غير موضعه) دراسة في التطور الدلالي، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين مستوى الاستعمال الشائع وأصل الوضع اللغوي للألفاظ والتراكيب على حد سواء، امتطت الدراسة للمنهج التاريخي؛ إذ وقفت على أصل وضع الألفاظ في اللغة وللمعاجم، ثم رصدت تطورها وأسباب هذا التطور بالربط مع أنواع العلاقات بين الألفاظ والتراكيب ومدلولات كل منها، مع اعتبار للمسافة التدرجية بين أصل الوضع والاستعمال، خلصت الدراسة أن ليس من خروج عن أصل الوضع اللغوي إلا بعلاقة مسوغة، بل بمجموعة من علاقات، كما أثبتت أن العلاقات بين أصل الوضع والاستعمال قابلة للتطور، بل ومتعددة وحيز الإبداع فيها أكبر من أن يحصر.

الكلمات المفتاحية: أصل الوضع، الاستعمال، العلاقات.

Abstract

This is a study labeled "The Distance Between the Origin of Situation and Usage," in Ibn al-Sakit's book "Islah al-Luqiq," chapter (What People Place in Misplacement), a study in semantic development. This study seeks to reveal the relationship between the level of common usage and the origin of the linguistic status of words and constructions alike. The study followed the historical approach, as it looked at the origin of the placement of words in the language and dictionaries, then monitored their development and the reasons for this development by linking with the types of relationships between words and constructions and the meanings of each of them, taking into account the gradual distance between the origin of placement and usage. The study concluded that there is no departure from the origin. Linguistic status is only through a justified relationship, but rather by a set of relationships. It has also proven that the relationships between the origin of status and usage are capable of development, and are even multiple, and the scope for creativity in them is too large to be limited.

Keywords: origin of situation, usage, relationships.

المقدمة":

الحمد لله الرحمن، خالق الحب والريحان، الهادي بالعلم والقرآن، والصـــلاة والســـلام على النبي العدنان، المؤتى من الله الحق والبيان، وعلى آله وصحبه أهل التقوى والرضوان، وعلى من سار على نهجه من أهل العلم والإيمان، وبعد،

لما أنزل الله القرآن، تعهده تعالى وحفظه من كل تحريف ونقصـــان، وقد قام نفر من أهل العربية يتصـــدون لخدمة معانيه وتفسيرها؛ إذ فطنوا إلى اختلاف الألسـن وتطورها، بل إن الأمر بعضـه ليسـتعصـي حتى على من هم من أهل اللغة، والفهم أمر دقيق متحقق بجهد؛ إذ تتداخل به أعراض النفس وسياق الحال ومستويات العقول والتفكير.

فتصـدى للألفاظ والتراكيب والمعاني علماء، قصـدوا ضـبط معناها ورصـد تغير دلالاتها، وتوظيفات الناس لها، ماكان منها موظفا على أصل ما وضع له ، وما خرج به الناس عن أصل وضعه، وابن السكيت عرض في كتابه" إصلاح المنطق" لهذا الغرض، بل وأفرد به بابا وسمه ب" مما وضعه الناس في غير موضعه" قصد من كتابه إصلاح اللحن –على حد وصفه–.

أما الباب– مما وضعه الناس في غير موضعه أعني– فمعني برصد مجموعة من الألفاظ والتراكيب خرج بها الناس عن أصل وضـــعها، والباب عنده جامع لثلاثة محاور، الأول: متعلق بالألفاظ، والثاني: متعلق بالتراكيب أو الأمثال، والثالث: متعلق بتصـــويبات صرح بها صاحب الكتاب" قل ولا تقل" وقد عمدت إلى تصنيفها في جداول ملحقة بالدراسة قصد تسهيل التناول من جهة،وإثراء للدراسة من أخرى، في جهد أحسبه يعد للباحثة.

مشكلة الدراسة: تعالج الدراسة مشكل الدلالة عبر تناولها في باب مخصوص"مما يضعه لناس في غير موضعه" هو عينة البحث، وإبراز أنواع الانزياحات والخروجات في استعمالات العامة، ورصد سير تطورها في علاقاتها.

أما **أهمية الدراسة** فتتلخص ب:

- تسليط الضوء على خروجات العامة على الأصل اللغوي.
- إبراز فطنة العلماء وتنبههم إلى قضية التطور الدلالي.
- إبراز قضية معيار الصواب والخطأ في الحكم على بعض التطورات الدلالية.
- رصد مظاهر التطور الدلالي على مستوى الألفاظ.
- رصد مظاهر التطور الدلالي على مستوى التراكيب" الأمثال".
- رصد مظاهر التطور الدلالي على مستوى أنظمة اللغة ومستوياتها.
- تأكيد تقاطع العلاقات وتعددها في التطور الواحد، أما التسمية فتحوزها العلاقة الأزعم.
- الوصول إلى تفسير متدرج يوضح الانزياحات الدلالية.
- الوصول إلى منطقة نظرية الإزاحة والإحلال على مستوى الألفاظ ومدلولاتها.
- توكيد براغماتية اللغة التي هي سلطة حاكمة تقود التطور الدلالي.

منهجية الدراسة: تتبعت الدراسة المنهج التاريخي في رصد تطور الكلمات، والكلمات في التراكيب، وتصدت لرصد علاقة الخروج إلى الاسـتعمال الشـائع، الذي رصـده المعجم مصـححا تارة، ومعللا أخرى، وحاولت إيجاد العلاقة والربط بين الصـواب والخطأ –عند وروده في الباب– وتبرير هذا الانزياح وتتبعه وتتبع أثره بالدلالة.

أما أهم **مراجع البحث** فهي المعاجم، وتخيرت منها مقاييس اللغة؛ إذ به ترصـــد قيمة اجتماع الحروف وتوجهها عبر طرق توظيفاتها الدلالية، وتاج العروس الذي يعد تاليا في الزمن من جهة ومن أخرى معجم ثرّ التناول غزير المادة، ولســـان العرب الذي لا

اكتمال لدراسة تعنى بالمعاجم دونه لاجتماع الحوادث اللغوية به، وأساس البلاغة؛ إذ هو راصد للتطورات المتحققة عبر المجاز، ولا غنى عن الرجوع للكتب المتخصصة في كل مثال مختار، فما كان الانزياح به ميدانه الأصوات، عدت به إليها، وكذلك إن كان الخروج معقده النحو أو الصرف، ولا سيما أن علم الدلالة يعتلي قمة اللغة مستفيدا من كل مستوياتها، مؤثرا فيها.

وقد انعقدت الدراسة في ملخص ومقدمة أصف بها مفاصل الدراسة، ثم تمهيد أضع به نبذة عن ابن السكيت اسمه وعلمه ومؤلفاته، وكتابه موضوعه وهدفه منه، وتوصيف لمنهجه العام في الكتاب استقرأته من صفحاته،ومنهجه الخاص في الباب المعين الذي صنفته قبل الخوض به، سبق هذا التمهيد رصد للدراسات التي سبقت هذه الدراسة، وذلك معبر أسوغ به دخولي إلى مباحث منقسمة في مطالب على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: التطور الدلالي.**
  - المطلب الأول: الدلالة وتغيرها، تغير أم تطور؟
  - المطلب الآخر: التطور الدلالي مظهر إيجابي أم سلبي؟
- **المبحث الثاني:أسباب التطور الدلالي.**
  - المطلب الأول: الحاجة إلى التجديد.
  - المطلب الثاني: الأسباب التاريخية.
  - المطلب الثالث: الأسباب الاجتماعية.
  - المطلب الرابع: الأسباب النفسية.
  - المطلب الخامس: الأسباب الإبداعية.
- **المبحث الثالث: نظرية الإحلال والاضمحلال.**
  - المطلب الأول: طرق التجديد.
  - المطلب الآخر: ما هو مصير القديم؟
- **المبحث الرابع: مظاهر التطور الدلالي.**
  - المطلب الأول: تقسيمات العلماء في درس المظاهر.
  - المطلب الثاني: التطور اللاحق بوظائف الكلمات.
  - المطلب الثالث: التطور اللاحق بالأساليب.
  - المطلب الرابع: التطور اللاحق بالمفردات.
- **المبحث الخامس: عوامل التطور الدلالي.**
  - المطلب الأول: الاستعمال.
  - المطلب الثاني: النقل من السلف إلى الخلف.
  - المطلب الثالث: سوء الفهم.
  - المطلب الرابع: تغير المعنى لتغير المدلول.

- **المبحث السادس: سمات التطور الدلالي.**
- الخاتمة.

***الدراسات السابقة:**

– دراسة بعنوان"ما وضع في غير بابه في معاجم العربية، دراسة في تنبيهات ابن بري على الجوهري في الصحاح" محمود مبارك عبد الله عبيدات.

تعد الدراسة حلقة من حلقات النقد المعجمي، تتناول انتقادات ابن بري على معجم الصحاح للجوهري؛ إذ تتبع الألفاظ التي وضعت في غير بابها توهما أو خطأ، وضرب مثالا على ذلك كلمة" تمعدد" التي وضعت تحت مادة" عدد" والصواب أن تكون تحت مادة "معد" وقد عرج الباحث على أسباب الظاهرة: التوهم(القياس الخاطئ)، وذلك بعد الزائد أصليا، أو عد الأصلي زائدا، أو بسبب الوزن الصرفي والقياس الخاطئ عليه،والخطأ في تقدير الحروف، والخطأ في رد الحروف إلى أصلها(الحروف المعتلة) أما آلية الاستدلال عند ابن بري، فقد تمحورت حول: الاشتقاق، واللهجات، والمعنى، والاستعمال، وأقوال العلماء السابقين، وخلصت الدراسة أن التوهم أهم هذه الأسباب، وان للوزن الصرفي أثر كبير به، وان ابن بري لم يفرد الباب إلا من خلال آليات اعتمدها ليثبت دقة استدلاله.

*التعريف بالكاتب والكتاب: كتاب إصلاح المنطق لصاحبه: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت البغدادي الأهوازي،(244هـ)، من أئمة اللغة والنحو[1]، كان أبوه مؤدبا، فتعلم من أبيه النحو ولما ارتفع محله أدب ابني المتوكل العباسي: المعتز والمؤيد، سمي بالدورقي: نسبة إلى دورق وهي اسم بلدة في خوزستان،أما اللقب ، فقد كان أبوه عالما حتى أخذته شدة علمه إلى السكوت، فلقب بالسكيت.

* أهم مصنفاته: الألفاظ، الأضداد، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود.[2] سبب تأليف الكتاب: ألف ابن السكيت كتاب" إصلاح المنطق" ليس لمعاجة المنطق كما يظهر من الاسم، بل هو كتاب لغة يسعى إلى إصلاح اللحن الجاري على ألسنة العامة، وهو معجم رصد به صاحبه مادة لغوية من الألفاظ والتراكيب والأمثال والقصص والأخبار، وفق ما يتعلق بالمادة اللغوية المراد سوقها.

*منهج ابن السكيت في كتابه "إصلاح المنطق":لم يقتصر معجم ابن السكيت على الألفاظ فحسب، بل تعداه إلى ذكر القصص والأخبار والأمثال، شأن الكتب الجامعة للمادة اللغوية وما حولها، وقد قسم أبوب معجمه إلى أوزان يجمعها جامع مثل" باب فَعْلٍ و فِعْلٍ باختلاف المعنى فيذكر الألفاظ على هذه الأوزان، ثم يفرق بين معانيها ودلالاتها، ويستشهد بآيات وأحاديث وشعر، ويذكر القصص –إن كان للقولة قصة– وما يميز منهجه الاختصار، فلا إطالة عند ذكر المعاني والدلالات، فهو معني بتجميع المادة أكثر من الخوض بها، يذكر الأوزان مضبوطة ويذكر الجامع بينها من اختلاف أو اتفاق، وليس له ترتيب وفق حروف أو موضوع، بل أبواب لأوزان بينها جامع.

*منهج ابن السكيت في باب ما وضعه الناس في غير موضعه: لم يتبع ابن السكيت منهجا ثابتا في إدراج هذا الباب، فتجده يورد اللفظة ثم يورد استعمالها في غير موضعها، ويذكر أصلها، وأحيانا يذكر الاستعمال ولا يذكر الأصل، والعكس صحيح، وقد يطيل

---

[1] ينظر، الذهبي، العلامة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز،(742هـ)سيرأعلام النبلاء، رتبه واعتنى به: حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية ص 1860

[2] ينظر، الزركلي، خير الدين، معجم الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين،(الآبري وأغناطيوس، دار العلم للملايين،بيروت لبنان.ج4، 283

بالشرح عند ذكر التراكيب والأمثال، أما ما ذكره وقال بعده :"قل ولا تقل" فهو أخطاء ذكر تصويباتها دون تفسير أو ترجيح أو توضيح، ولعل ما أدرجه وقال بعده" قل ولا تقل" ينسجم مع غرضه الأول من تأليف الكتاب، ألا وهو إصلاح لحن العامة.

ابن السكيت يورد اللفظة منفردة، ويظهر خروج الناس باستعمالها، أو يورد اللفظة في مقولة أو مثل، وهو يريد إيضاح اللفظة وتطورها، ولا يريد المقولة أو المثل الذي اندرجت به، أو يورد مقولة أو مثل وهو يريد أصل وضعه، وخروج الناس باستعماله، وهذا ما اعتنت الباحثة بفهمه ودرسه قبل جدولته في الفهرس المصنف، فما كانت مقصديته منه اللفظة وضع تحت فهرس الألفاظ، وما كانت مقصديته منه المقولة أو المثل أدرج تحت فهرس التراكيب.

***المبحث الأول: التطور الدلالي تغير أم تطور، مظهر سلبي أم إيجابي؟.**

لا شك ان اللغة محكومة بالنفعية؛ إذ يتحور منها اللفظ بل والمعنى إذا اقتضت الحاجة، فهل هذا تغير أم تطور؟

- المطلب الأول: الدلالة وتغيرها، تغير أم تطور؟

إن كلمة التطور ارتبطت بالتغير للأفضل، وهذا التطور لم يأت عبثا وإنما لمقابلة حاجات الناس في المجتمع.[3] والأفضل توظيف كلمة تغيير؛[4] إذ اللغة ظاهرة اجتماعية تتطور بتطور المجتمع السائرة به، وتطورها دليل حياتها وحياة أهلها، فكم من لغة بائدة لم يبق منها إذ لم يبق من ينطق بها، والحاجة أساس الإيجاد وأم الاختراع، أما الخلاف حول توظيف" تغيير أو تطور" في توصيف تبدل الألفاظ، فأمر ربما يعتلق في صلب هذه الدراسة، فكلاهما يشيران إلى تبدل إلا أن التطور اقترن بالأفضلية والوصف الإيجابي، والتغير اقترن بالتبدل السلبي، ولا أجده إلا تطورا بالنظر إلى كلمة طور، فاللفظة تمر بأطوار كما الإنسان يشرق في بعض أطواره ويضعف في أخرى، واللفظة مخلوق يمر بأطوار وتحورات، تارة يقوى وأخرى يضعف، وربما يموت، لكن هل هذا التطور المرصود محمود أبدا؟

- المطلب الآخر: التطور الدلالي مظهر إيجابي أم سلبي؟

إن هذا التطور الساعي إلى الكمال وسد النقص قد يسبب الإرباك واللبس بل ويجرد اللغة مما بها من سمو ودقة.[5] تسعى اللغات الحية إلى التجديد وفق حاجات أبنائها، على أن لها أسبابا فوق محض الحاجة تجعلها تتطور، وذلك بأن تضيف إلى جسم مفرداتها، أو تعدل من دلالات ما هو موجود بها، وربما مال هذا التعديل وابتعد عن جادة الصواب– وفق معيار الصواب والخطأ– ولعل هذا ما يلحظ ظاهرا دون الخوض بالترتيب والتدريج الموصل باللفظة إلى هذا التطور، ولعل اللفظة في مسيرة تطورها تتخلى عن دقتها في التعبير عن المدلول والإشارة إليه، ولعل تتبع هذا التطور المتدرج سيجعل من فكرة القبول أمرا واردا وسيتساغ وصولها إلى هذا النقطة، أما الحكم بأنه ملمح سلبي أو إيجابي فمنوط بمقدار التلقي والقبول، فاللفظة إن شاعت وقبل بها دالا على مدلولها فقد كتب لها الدوران والنجاح، وغيرها وإن كان أدق في الدلالة والإشارة ولم تتقبله الذائقة متروك لا محالة، والتطور كله ولم لم يكن به إلا الإشعار بحياة اللغة عنوان سلامة ووجود.

---

[33] ينظر، بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة،1998م، ص 255.

[4] ينظر، عبد الجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي،دمشق،2010م، ص 69

[5] ينظر، عبد الوافي، علي، علم اللغة ، شركة النهضة للطباعة، مصر، ط9، 2004م، ص 338

المبحث الثاني: أسباب التطور الدلالي.

للتطور اللغوي أسباب منها: الحاجة إلى كلمات جديدة، أو أسباب تاريخية واجتماعية ونفسية، أو أسباب إبداعية.[6] وهذه مسماها الأسباب الخارجية،أما الأسباب الداخلية فهي مستويات اللغة(الأصوات والنحو والصرف والدلالة).[7]وقد اختلفت تقسيمات العلماء لهذه الأسباب، بل إن منهم من أتى على شرح مظاهر التطور الدلالي بوصفها أسبابا للتطور الدلالي، فما هي هذه الأسباب؟ وكيف يبرز دور كل منها؟

- المطلب الأول: الحاجة إلى الجديد.

أما الحاجة إلى الجديد فذلك مثل متطلبات الحضارة، فكل اختراع جديد يحتاج تسمية جديدة، ولا أحسب أن هذا النوع من الإضافة على اللغة تعتريه مشكلة الدلالة، فاللفظ يأتي جديدا مع مدلوله الجديد دون تنافس، فالتطور الطارئ على اللغة محض إضافة، فمتى بدات هذه الحاجة؟

أما الزمن الذي بدأت به الحاجة إلى الدلالة فعند نقلة المصحف في عهد عثمان بن عفان، الذي أمر بتوحيد المصحف، والذي يقرأ بأشكال متعددة تبعا لاختلاف النقط فوق الحروف،وبدأت مشكلة الكتابة بالظهور.[8]فمشكلة الدلالة ليست بجديدة بل إنها قبل ذلك وبأزمان، إلا أنها قد اعترف بها مشكلة إذ ارتبطت بالقرآن الكريم، الذي لا يختلف بالاهتمام به عالم ولا قارئ ولا مسلم، فالمصحف مرسوم بلا نقط، فهمه من جمعه في زمن جمعه، لكن ماذا بعد ذلك؟ وماذا عن المسلمين من غير العرب؟وما هو دور المعجمي؟

والمعجمي يعالج ظواهر مفتوحة لا تستقر على حال، والمعنى هو المحل الأول لاهتمام المعجمي وهو أصعب حقول الدراسة،[9] والجميل أن النار وسيلة من وسائل الدلالة،[10] لا شك أن التواصل بين الناس هدف وغاية، واللغة أرقى هذه الوسائل وأهمها، والمفردات دوال على المعاني، فإن كانت المفردات مكتوبة نقص من دلالتها وجود المتخاطبين، أي لا لغة جسد ترى ولا نبر أو تنغيم مسموع، فيزيد العبء على المعجمي في محاولته توصيل المراد من الألفاظ، وتجسيد مدلولاتها، فتجده تارة يوضح الماهية، وأخرى يذكر السياق، وأحيانا يصف، وقد يلجأ إلى الضد، بل إنه يلجأ إلى الخيال والابتداع لتوضيح مدلولات هذه الألفاظ.

---

[6] ينظر، أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء،ط1ن 1985، ص 45-47، والضامن، حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مركز الماجد للثقافة والتراث، جامعة بغداد، 2006، ص90.

[77] ينظر، حنفية، نادر جمعة، أثر الحاسوب والشابكة في التطور الدلالي في العربية، دراسة لغوية تطبيقية، جامعة الجوف السعودية، عدد38، ص 268.

[8] ينظر، حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،الجزء الأول، الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس،ط14، دار الجيل بيروت، ومكتبة النهضة، مصر، 1996م، ص416-408

[9] ينظر، عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثر والتأثير، جامعة القاهرة، عالم الكتب، ط6، 1988م،ص 161.

[10] ينظر، متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه: رفعت البدراوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، المجلد الثاني،ط5، ص 442.

* المطلب الثاني: الأسباب التاريخية.

أما الأسباب التاريخية فأن تمنح الكلمة دلالة جديدة مع الزمن، مثل تطور كلمة سيارة التي كانت تدل على القوافل، واليوم هي مركبة تسير في الشوارع وتحدّث كل حين، فمن يتصدى لرصد تاريخ المفردات؟

المعاجم التاريخية:هي معاجم تهتم بالتغيرات التي تطرأ على بنية الوحدات المعجمية ومعناها في فترات زمنية معينة.[11] وهو خير راصد لتطور اللفظة من حيث المبنى والمعنى، ولعل التطور يرصد المؤثرات المحيطة باللفظة، ويرصد رحلتها متوقفا في محطات تثبت زمنيا، ثم تسير باتجاه تطور جديد، ولعل المحطة الأخيرة تكون متباعدة إلى حد كبير عن نقطة انطلاقها، بالقياس إلى الاختلاف الطارئ عليها في كل محطة.

* المطلب الثالث: الأسباب الاجتماعية.

أماالأسباب الاجتماعية فتشير إلى التوظيف البيئي لنفس اللفظة في نفس المرحلة الزمنية، أي أن اللفظة ذاتها موجودة في كل بيئة بدلالة معينة، أمثل على ذلك كلمة "عيش" في مصر هي الخبز، وفي المغرب هي الأرز، وفي الشام العيش من المعيشة والحياة.

والحاجة أساس، وقد تنتقل كلمة من لغة أو لهجة إلى اللغة، أو إحياء مفردات قديمة، أو الاشتقاق،[12] حيث تبدأ الدائرة بالحاجة، فيتلمس الناس طرق الابتكار أو الاستجلاب من لغة أو لهجة، مثال ذلك دخول كثير من مفردات الحضارة إلى العربية، وقد تهب المجامع لإعادة إحياء مفردة قديمة وليس حصرا عليها، وأخيرا الاشتقاق وفق قواعد العربية من المفردة الدخيلة، أي تعريبها وإخضاعها لقواعد العربية واشتقاقاتها.

ومن الأسباب الاجتماعية: العادات والقيم، مثل ألفاظ الجنس، والانتقال اللهجي، والبيئة لضمان عدم الخلط.[13] فمسوغ الانتقال والتطور حواجز العادات والقيم، وهي متغيرة، ربما مستقبح قبله الناس، أو العكس مقبول استقبحه الناس وهكذا، بل إن القرآن الكريم قد تناول ألفاظ المحظورات بدقة بل وبجمال، مثل "الغائط" لقضاء الحاجة وغيرها.

أما الانتقال اللهجي، فآيته الاختلاف بين اللهجات للمفردة في الألفاظ أو المعاني،مثل ذلك ما خصت به بعض اللهجات ف " وثب" بمعنى جلس، حميرية، وبمعنى قفز عدنانية.[14] وهو بوابة لتطور من نوع آخر، فلكل لهجة انزياحات لفظية وفق نظام تتبعه هذه اللهجة، ثم يتحول هذا الاختلاف اللفظي إلى اختلاف دلالي، إذ إن اللهجة تتبع جماعة من الناس وهذا لا بد يستدعي بعض التباينات في المدلول الواحد، فتتعمق اللهجة ويتعمق معها التباين، ويصبح الدال الجديد مشيرا إلى مدلول جديد.

والاختلاف يكون باللفظ وطريقة النطق واللفظ واحد والمعنى واحد، أو اختلاف متحقق بالألفاظ المختلفة للمعنى الواحد، أو معاني مختلفة واللفظ واحد.

---

[11] ينظر، خليل، حلمي، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي، مجلة المعجمية ، تونس،ص303

[12] ينظر، عبد الوافي، علم اللغة، ص 228

[13] ينظر، الشيخلي، نظر في نظرية السياق،ص 4

[14] ينظر، أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلوالمصرية، القاهرة، ط8، 1992م، ص 157

- المطلب الرابع: الأسباب النفسية.

والأسباب النفسية الإيحائية مرتبطة بفرد فإذا نالت الحظوة اللغوية صارت اجتماعية، مثل ذلك تخيلات الشعراء ومجازاتهم، تبدأ عندهم وتشيع لتنتهي بالمجتمع، مثل تشبيه الجميلة بالبدر.

إن العالم الفكري الداخلي شبكة معقدة، ومتى اقتربنا من الأشياء نجدها متشكلة من ذرات صغيرة، ونحن إنما نحاول كشف العلاقات.[15] فالهدف كشف العلاقات، والعلاقات متداخلة، فالتاريخي منها أصله اجتماعي، والنفسي الفردي إذا شاع أصبح اجتماعي، وكل ينصب في حاجة اللغة النفعية المجددة، والتفصيل في كل منها مؤداه إلى اجتماعها وتوحدها في خدمة اللغة.

* المطلب الخامس: الأسباب الإبداعية.

والإبداع مجال المبدعين من الشعراء وغيرهم، وهو الجديد المستطرف؛ إذ تبدأ إبداعات الأفراد وتؤدي إلى تطور، أضرب مثلا معاصرا " إدارة الأزمة" تركيب أوجده الإعلام، وصف به الوزراء وصفا صادقا، ثم انطلق هذا التركيب غازيا الإدارات والمؤسسات بل والأسر والعائلات.

و ليس لذكي أن يتصدى لتحديد لحظة الإبداع، إنما تستشعر الحاجة إلى الجديد، ثم تتجول النفس في المتاح وتنتقي، ثم تعرض الجديد على القبول والتلقي والذائقة، وقد يموت في اللحظة وقد يطفو على السطح إن تلقته الأنفس بالرضا، كل ذلك رصد للمراحل والعلاقات، ولا يزعم أن حددت لحظة الإبداع، ولكن ما هي طرق التجديد؟ وما هو مصير القديم؟

المبحث الثالث: نظرية الإحلال والاضمحلال.

إن العادات والقيم المصاحبة تؤثر في التطور الدلالي، بل لعلها من أكثر النقاط تأثيرا، ولا سيما أنها تبدأ انزياحا عن لفظة تثير الحفيظة من حرج أو خوف، فتحل محلها لفظة أقل إيحاء، ثم يختفي هذا الانزياح وتقصر المسافة بين الدال والمدلول، وتصبح الجديدة مثيرة لهذه الحفائظ، فينزاح الذوق العام إلى جديد وهكذا، ولعل هذا ما يفسر كثرة الألفاظ الدالة على مدلول مكروه، ولن تتزاحم مفردات اللغة، بل تبدأ نظرية الإحلال والاضمحلال، فيخبو نجم القديم ويشع الجديد نجما، فكيف يصل هذا الجديد إلى البريق؟ وما مصير القديم الأول؟

- المطلب الأول: طرق التجديد.

للتجديد طرق مثل: الإحياء مثل هاتف، والاقتراض مثل برتقال.[16] والاشتقاق والنحت، والتركيب الإلصاقي.[17]والاقتراض: وهوأخذ كلمة من لسان وإدخالها في اللغة،وهو من سنن اللغات.[18]

---

[15] ينظر، فرويد، سيجموند،الموجز في التحليل النفسي، تقديم:محمد عثمان نجاتي، ترجمة: سامي محمود علي، وعبد السلام القفاش، مراجعة مصطفى زيوار، تحرير: سمير سرحان،، محمد عناتي،مكتبة الأسرة، 2000م، ص 104

[16] ينظر، الضامن، علم اللغة، ص 92-91، وأبو عودة، التطور الدلالي، ص55

[17] ينظر، كيرا، منصوري، وسائل توليد الألفاظ في اللغة العربية، في ظل مواكبة التطور، بحث مترجم غير مرقم.

[18] ينظر،مرداسي، جودي، آليات توليد المصطلح، الاقتراض اللغوي، جامعة بانتة، مجلة الذاكرة، العدد 50،ص 292-291

الإحياء: إعادة ألفاظ مندثرة إلى الحياة،[19] أن تأتي على لفظة من جسم اللغة وتبعث بها الحياة لتعود بمدلول جديد وبذات اللفظ، فكلمة هاتف، بمعنى الجن أو الصـــوت الطارئ، أعيدت إلى الحياة مع اختراع الهاتف، وهو الجهاز الذي نتخاطب به عن بعد صـــوتيا، ومثل ذلك كلمة سيارة- أشرت إليها- وجريدة.

الإحياء إعادة بعث القديم، وهو طريقة في التطوير والتجديد، بل وإني لأنحاز إلى هذه الطريقة التي بها تتجدد مفردات اللغة، ولا تعود مستهجنة مستغربة، وهي قوالب جاهزة لا تحتاج إلى تطويع لقواعد اللغة وأنظمتها كما هو الحال بالنسبة للمعرب والدخيل.

الاقتراض: أن تأخذ اللفظة كلها أو بعضها من لغة أخرى، وتدخلها إلى اللغة ، لتشبيه الألفاظ بالبضاعة،[20] من ذلك كلمة ديوان وسجل وموبذان وجهنم....الخ. والاقتراض قسري إذا دخل، ولو كان الأمر بالاختيار فلا ترجيح لدى الباحثة في هذا الاتجاه من التداول اللغوي.

الاشـتقاق : والاشـتقاق عند الجرجاني(811هـ): نزع لفظ من آخر بشـرط مناسـبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما الصـيغة.[21]أي أنه الأخذ بحروف الكلم شرط التناسب بالمعنى والاختلاف بالشكل، مثال ذلك المشتقات" فعل فاعل مفعول فعيل..الخ"

والاشـتقاق عند السـيوطي(911هـ):هو ذكر الألفاظ التي جيء بها توكيدا مشـتقة من اسـم المؤكد، يقال: كان في الجاهلية الجهلاء ، هو توكيد للأول يشتق له من اسمه ما يؤكد به فيقال: وتد واتد، ووبل وابل، وليل لائل، وشـغل شـاغل.[22] الاشـتقاق من أهم طرائق التوليد اللغوي.[23] يتحدث السـيوطي عن فائدة من فوائد الاشـتقاق، وهي التوكيد، بل ويعطي نماذج من توظيف الاشـتقاق لهذه الغاية التي لا أجد الاشتقاق يقتصر عليها، بل هو طريق يوحي بنضج اللغة، وقدرتها على التوالد من الجذر الواحد والإنتاج والابتداع.

والاشتقاق: أخذ الشيء من الشيء[24] . والاشتقاق: مصدر، اشتق الشيء إذا أخذ شقه،وهو نصفه،ومن المجاز اشتقاق الكلام، إذا أخذ فيه يمينا وشمالا، وترك القصد منه ومنه سمي اخذ الكلمة من الكلمة اشتقاقا.[25]

---

[19] ينظر، عبد الله، مراد حميد،تطورات دلالة المفردات المحدثة في النص اللغوي، مجلة الخليج العربي،كلية الآداب جامعة البصرة، 2012م ص16

[20] ينظر،يحيى، عثمان إبراهيم، الاحتكاك اللغوي ودوره في اقتراض الألفاظ،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية،مجلد 19،ص256

[21] – ينظر، الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف،(816هـ)معجم التعريفات، قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق:محمد صديق منشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص26.

[22] – ينظر، السيوطي(911هـ)، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1956م، ج2 ،ص 247

[23] – ينظر، خسارة، ممدوح،الاشتقاق والتعريب عبد القادر المغربي، راجع الدراسة: عبد الإله نبهان، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد الأول، ج1، المجلد89، ص 230

[24] – ينظر، نعمة، حيدر علي، ظاهرة الاشتقاق وأثرها في إثراء الدلالة اللغوية والمعجمية للمفردة القرآنية،جامعة العراق،دراسة، مجلة الأستاذ، العدد201، 2012م، ص 162.

[25] – ينظر، الحازمي، محمد بن مرعي بن محمد، الاشتقاق تعريفه وأنواعه، جامعة ام القرى، المشرف، محمد أحمد خاطر،ص

يتفق الرأيان على وجود شيء أخذ من شيء، مع ترك القصد منه إلى معنى جديد، يتضمن المعنى الأصلي بزيادة فرضها البناء الجديد، ويرى صاحب الرأي الأخير-وأجدني آخذة برأيه- أن هذه التسمية لهذه العملية أخذت بطريق المجاز، وهذه ميزة للعربية تقدمها على غيرها، فهي لغة اشتقاقية، فإن قلت "سماء" ردوا عليك بسمو وتسام وسماوي....الخ.

النحت: عند الخليل من اشتقاق فعل من كلمتين حينما لا تأتلف العين مع الحاء في كلمة واحدة.[26] : أن تأخذ أحرفا من كلمتين أو بضع كلمات وتجعل ما تأخذه كلمة برأسها، وقد استعمله العرب طلبا للاختصار.[27]

يعرف الخليل النحت فهو عنده اشتقاق فعل من كلمتين، لزومه ألا تأتلف العين والحاء في كلمة، وهو أول من نحت بقولة" حيعل، أي "حي على الفلاح"، والنحت أخذ مكانة لائقة بحجمه، فهو وسيلة مبدعة إذ تنطوي على الاختصار إن أردت كقولك: بسمل و حوقل، وتنطوي على دمج المعاني والإثراء كقولك: بعثر، التي تساوي بعث ونثر.

التركيب الإلصاقي: المقطع " لوجيا " أضيف إلى أواخر الكلم بمعنى علم،[28] فهو إضافة لواحق أو سوابق لازمة لإضفاء معنى جديد أو مخصوص، كقولك: جيمورفولوجيا ، أنثروبولوجيا، إضافة المقطع الأخير، تعطي معنى العلمية، وتغيير المقطع الأول للدلالة على تغير التخصص.

المطلب الآخر: ما هو مصير القديم؟

ينقرض المدلول أو تنعزل الكلمة أو يثقل تداولها فتنقرض.[29]

قد يختفي المدلول من الوجود فلا تعود اللفظة متداولة لاختفاء مدلولها، وقد تنعزل فلا اشتقاق منها ولا تجريد ولعل السبب الأول يستدعي الثاني، فاختفاء المدلول يجعل الكلمة منعزلة ، كذلك ثقلها على اللسان يستدعي تطورها بلفظها لتسهل، أو انزياح الناس عنها إلى كلمة أكثر تلطفا تفيد ما تفيد وتؤدي غرضها، أما أن تنقرض فلا سبيل إلى ذلك، وإن تحقق كل ما سبق، فعمر وجودها طويل وإن حفظت على شكل مثال في اللغة، بل إن الخطأ وهو خطأ ليحفظ ليستدل به على الصواب، فاللفظة يقل دورانها ولا تختفي، بل وقد يمر بها تيار الإحياء، فتعود إلى الحياة أقوى وأخصب.

المبحث الرابع: مظاهر التطور الدلالي.

تداخلت مظاهر التطور الدلالي، بل إن من العلماء من خلط الأسباب بالمظاهر، وأفردت في درسها على النحو الآتي:

- المطلب الأول : تقسيمات العلماء في درس المظاهر.

اختلفت تقسيمات العلماء في رصد مظاهر التطور الدلالي، فمنهم من نظر إلى الوظائف ومنهم من نظر إلى صور هذا التطور، أو تناول مستويات حدوثه، من ذلك: تطور لاحق بوظائف الكلمات، ولاحق بالأساليب، وأخير لاحق بالمعاني،[30]

---

[26] – ينظر، مطلوب، أحمد، النحت في اللغة العربية، دراسة، ص7.أما بيت الشعر الذي استشهد به فهو في العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، الجزء الأول ، ص60

[27] – ينظر،آل ناصر الدين، الأمير أمين، دقائق العربية،جامع أسرار اللغة وخصائصها، وقف على طبعه: الأمير نديم آل ناصر الدين مطبعة لبنان،ص 21.

[28] ينظر، لوجيا، معجم المعاجم.

[29] ينظر، عبد الوافي، علم اللغة، ص 228

[30] –ينظر، عبد الوافي، علم اللغة، ص 314-313

قسم التطور بالنظر إلى أثره إلى ثلاثة أقسام رئيسة،الأول: تطور لاحق بوظائف الكلمات في مستويات اللغة، الكلمة في أصواتها واشتقاقها وموقعها النحوي، والثاني: تطور على الأساليب مثل العاميات المتشعبة عن العربية، والأمثال والشعر، والثالث: تطور طارئ على معنى الكلمة نفسه، وهو الدلالة.

والتطور اللغوي تطور يلحق بالقواعد وتطور يلحق بالأصوات وآخر على المفردات وأخير على الأساليب.[31] زيد على ما سبق تطور متعلق بالبنى الصرفية[32]. بل إنها مجتمعة وسيلة للوصول إلى الدلالة، ينضاف إلى ذلك المقام الذي سبق الغرب إليه العرب فكرة وتوظيفا.[33]

نظر للتغير الطارئ على مستويات اللغة على أنها مظاهر، وصنفت على أنها أنواع للدلالة، ولا أجد فرقا إلا من حيث نظرة العالم إلى هذه التطورات، فمجمع الحديث عنها إياها، إلا أن هناك من تناولها من النتيجة إلى الأسباب، أو من الأسباب وصولا إلى النتيجة، وهومقسوم في مظاهر أفردها قصد درسها ولا أنكر تعالقها بمستويات اللغة الأخرى، وتخيرت التقسمة الأولى،تطور لاحق بوظائف الكلمات، وآخر لاحق بالأساليب، أخير لاحق بالمعنى.

- المطلب الثاني: التطور اللاحق بوظائف الكلمات.

لا شك أن وظيفة الكلمة في الجملة مختلفة باختلاف موقعها، وهذا هو النحو، فإن بدأ بها فهي المبتدأ ، وإن جاء المرفوع بعد فعل فهو الفاعل، وهكذا، فكيف يكون النحو سطحا عاكسا للتطور الدلالي؟

التطور النحوي: أما تطور القواعد النحوية فمثله تغير الحركات.[34]ووظيفة الكلمات في الجملة متغير بتغير موقعها.[35]وهو تطور متداخل بالبلاغة، ولا شك مستويات اللغة لا تنفك متداخلة، أمثل على التطور الدلالي ومظهره القواعد، التقديم والتأخير منها، فالمقدم هو الأهم، وهذه دلالة، ورفع الفاعل دلالة الفاعلية، فإذا نصب تغيرت الدلالة إلى المفعولية، وعند انعدام القرائن يكون الموقع هو الدلالة، بل إن من التطور الواقع على الجمل تقديم الفاعل في الاستعمال، مثال: "رسم الطالب اللوحة" هذه جملة نموذج ركبت على أصل وضعها، فعل+فاعل+ مفعول به، أما الانزياح والمستعمل فهو" الطالب رسم اللوحة" مبتدأ(هو الفاعل) + جملة فعلية في محل خبر، خروج لكن من مستوى لغوي مضبوط إلى مستوى آخر مضبوط صائب.

---

[31] ينظر، أبو عودة، التطور الدلالي، 52

[32] ينظر، أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، 1979م، ص 48-46

[33] ينظر، حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1994م، ص 340-339.

[34] ينظر، فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الداخلي، ومحمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل،1889م،المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، القاهرة، ص105

[35] ينظر، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب،القاهرة، مصر،ص13

التطور الصوتي: والتبدل الصوتي ممهد للتبدل الدلالي، ذلك مثل إسقاط الحروف الأخيرة من كلمات بعض اللغات.[36] ومثله التغير في" قطّ، وقد"إذ إن قطّ: أصلها قد وهي اسم فعل بمعنى يكفي، والدال بدل من الطاء، وقد: نقلت إلى الاسمية، وقطّ أصلها قطط، فعل بمعنى قطع.[37]ناهيك عن النبر والتنغيم.[38]

الصوت مادة اللغة ومستواها الأول، فإن تبدل ترتب على تبدله تبدلات في الدلالة، وقد يرتقي التطور الصوتي لينقل الكلمة من حال إلى حال، مثل" قط و قد"، وقد تختلف قيمة العبارة بالأسلوب الذي ألقيت به على أذني المخاطب، ويبقى المكتوب ناقصا .

إلا أن الدلالة باقية مع تغير اللفظ، مثل كلمة (سما) في العامية، والأصل بها(سماء)، ولا يزال العامة يتداولونها بلا همز، والمدلول هو السماء، فماذا لو كتبت وفق هذا اللفظ؟

سما: علا وارتفع، انتقلت الدلالة بسبب التبدل الصوتي إلى معنى آخر ومدلول آخر، والتطور الطارئ على الأصوات تابع لتطور الدلالة، مثل تطور اللفظ الناقل إلى دلالة أخرى كلمة(قلم) alam. Qalam .galam) تذهب إلى معنى الألم : التوجع، والكلم: الشق، كل هذه تبدلات صوتية، مؤثرة في الدلالة.

التطور الصرفي الاشتقاقي: لا يكفي لتعرف معنى كلمة "استغفر" أن تفهم معنى الجذر" غفر" بل عليك أن تفهم أن المقطع " است" يعطي معنى الطلب.[39]بل أزيد عليه أن تعرف معنى المقطع الزائد على الجذر، مع مراعاة السياق، إذ المقطع " است" يعطي معنى الطلب كما يعطي معنى التحول، والسياق أو التوظيف هو الحاكم، أما المقطع فواحد، واللغة حسب نفعيتها تتحور، فإن كان خادما موصلا لمعنى التحول أفادها، وإن كان خادما لمعنى الطلب فهو لها.

والأوزان الصرفية حاملة لدلالة، فأوزان المشتقات وأقيستها تعج بالدلالات، بل ويتعلق بها وظيفة نحوية- المصادر والمشتقات العاملة عمل الفعل-أضيف على ذلك "الإنابة" أي استعمال وزن والمقصدية وزن آخر،لقوله تعالى" يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية" (الفجر 27) فقد يستعمل اسم المفعول والدلالة لاسم الفاعل وهكذا.

المطلب الثالث: التطور اللاحق بالأساليب.

وهو التطور الطارئ من الفصيحة إلى العاميات، وعلى الكتابة الحديثة وتطورها عن القديمة.[40] وهذا النوع من التطور لا يلمح في جزئية فحسب، بل هو صبغة تنطلي على اللغة عامة، بتفرع العاميات عن الفصيحة- حسب رأي الكاتب- ، والباحثة تميل إلى تفرع العامية إلى عاميات،أو امتداد العاميات عن العاميات(اللغات) القديمة، وحيث إن المنطوق يبقى حرا بلا تقييد، أما المكتوب فموثق، تظهر عليه آيات التغير بشكل أكبر، فالشعر القديم له لغته والكتابة القديمة لها أسلوبها، والحديثة لها ميزات تجعل منها متفردة ظاهرة؛ ولا سيما الكتابة في مجال الأبحاث العلمية التي تتقصى الضبط الدقيق والمصطلح الجامع المانع.

---

[36] ينظر، فندريس، اللغة، ص 93، وأنيس، دلالة الألفاظ، ص154-152

[37] ينظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(911ه)همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت،ط1، ج2، 1998م،ص 158-157

[38] ينظر، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 13

[39] ينظر، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 13

[40] ينظر، عبد الواحد، علم اللغة، ص 314

المطلب الرابع: التطور اللاحق بالمفردات.

المعنى المركزي هو المعنى الرئيس، وما ينضـــاف إليه عبر اقترانه فهو المعنى الإضـــافي، فإن كان حصـــرا يمثل سمة، فهو المعنى الأسـلوبي.[41] وهو التطور المتركز على اللفظ، أو على معناه، فإن قلت تطور دلالي فالمقصـود هو المعنى، والمعنى المحوري الرئيس يعرف من المعاجم، وما يتطور من توظيفات لهذا اللفظ فهي معان إضافية، ترفع وتزيد من دلالة اللفظة ولا تغادر معناها الأول، سيأتي تناول وأمثلة لهذا النوع من التطور لاحقا في هذا البحث- إن شاءالله-.

المبحث الخامس: عوامل التطور الدلالي.

المطلب الأول: الاستعمال.

الاســتعمال: كثرة اســتعمال الخاص في مدلول العام، واســتعمال العام بمدلول الخاص.[42] ولا يتعدى الاســتعمال قاعدة العلاقات، أشـهرها التجاور الزماني والمكاني والتشـابه .[43] وكل يتداخل به أسباب اجتماعية ونفسية ولغوية.[44] تضييق وتوسيع ونقل وتغير مجال الاستعمال(مجاز) [45]

أما توسـعة الدلالة فتتأتى من كثرة الاسـتعمال للمفهوم الخاص في معنى عام، مثل البأس: وهي بمعنى الحرب، ثم أصـبحت تدل على الشدة، والحرب شدة نوع من أنواع الشدائد، فاختفت العلاقة واختفى الخاص وأصبح العام فقط، أي أن الدلالة توسعت من الحرب وهي الفرع الخاص، إلى العام الأوسع وهو الشدة في كل حال.

وتضـييق الدلالة مرتبط بكثرة الاسـتعمال ، أي الانتقال باسـتخدام العام بمدلول الخاص، مثل ألفاظ العبادة، الصـلاة والحج، فالصلاة بمعنى الدعاء والحج بمعنى القصد، وبعد الإسلام أصبحا يختصان بالدلالة على ركنين من أركان الإسلام.

الانتقال من الحقيقة إلى المجاز: والمجاز حامل من الغموض الشـيء الكثير، فالشـعر جميل بلا سـبب، إذ يعرض به الشـاعر فرضـياته بوسـائل قوية.[46] ، وقد يكون في الألفاظ والتراكيب، مثل كلمة المجد التي تعني امتلاء بطن الدابة، فأصبحت تدل على الامتلاء بالكرم[47] والمجاز باب تتطور به الدلالة ، وممر العبور المشـابهة، لكن القدرة على رصـد التشـابه وتصـويره ملكة، وجب توفرها في المبدع، بل إن هذا النوع من العلاقات يكلله الجمال والإدهاش، وليس حكرا على أحد إلا أن للشعر يد طولى في هذا النوع من التطور الدلالي.

---

[41] ينظر، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة،ص38-36

[42] ينظر، أبو عودة، التطور الدلالي، ص 53و عبد الوافي، علم اللغة ص، 319

[43] ينظر، مكرم، عبد العال سالم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط1، 1996. ص 10، وعبد الوافي، علم اللغة ص، 321-319و الداية، فايز،علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية،دمشق، در الفكر العربي ، دمشق سوريا، ودر الفكر المعاصر، بيروت لبنان،ط2، 1996م،ص 283-281.

[44] ينظر، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص72

[45] ينظر، أبو عودة، التطور الدلالي، ص 56.

[46] ينظر، أبو عودة، التطور الدلالي، ص 54، وامبسون، وليم، سبعة أنماط من الغموض، ترجمة صبري محمد حسن عبدالنبي، مراجعة: ماهر شفيق فريد، المجلس الاعلى للثقافة، 2000م، ص 28

[47] ينظر، عبد الوافي، علم اللغة، ص 319

لكن المتأمل لكل ما سبق يجد العلاقة هي سبب هذا الانتقال ومسوغه،فما هي أنواع العلاقات؟

- أنواع العلاقات.

- علاقة الجزء بالكل والكل بالجزء: إن الانتقال الدلالي في كلمة" بأس" علاقة جزء بكل، والانتقال الدلالي في " الصلاة والحج" علاقة كل بجزء، وليس هذا كل ما في العلاقات.
- المجاورة الزمانية: هي سبب الانتقال في كلمة "العقيقة" التي تدل على الشعر على المولود، فأصبحت تدل على الذبيحة التي تذبح عند حلق شعره بعد مدة أسبوع من ولادته.
- أما المجاورة المكانية: مثل كلمة " ظعينة" التي تدل على المرأة في الهودج، ثم أصبحت تدل على الهودج، ثم انتهت لتدل على البعير الحامل للهودج.[48] إذ التجاور المكاني هو الرابط لانتقال الدلالة، من المرأة في الهودج، إلى الهودج ثم إلى البعير الحامل للهودج، مثل ذلك كلمة" شنب" فهي الفم في أصلها ثم انتقلت بسبب المجاورة المكانية لتدل على الشارب.

وقد توسع الإنسان في هذا الباب على مستوى العامة، فيستعير من أجزاء الجسم للجماد، مثل أسنان المشط، ومن الحيوان ليدل على الصفات، مثل ذئب وأسد، ومن أجزاء النبات مثل جذر السن،ومن الآلات والأدوات، طبلة الأذن وعنق الزجاجة، والانعكاسات النفسية، أحمر صارخ، ومن الألوان دلالة، وجهك أصفر.[49]

- المجاز من أهم وسائل التجديد والتطور الدلالي ، وأساسه التشبيه، وفرعه الاستعارة بشقيها: المكنية والتصريحية، فتستعير يد الباب، لمشابهتها يد الإنسان،من الإنسان إلى الجماد، ومنه قلت" أسنان المشط"، وبالعكس تسير الأمور، من جماد إلى إنسان مثل طبلة الأذن، وتستعير من الحيوان الصفات وتخلعها على الإنسان، من شجاعة أو قوة، أو حتى صفة جمال، ومن النبات، وقد تنعكس الصورة النفسية، لتصب في الدلالة مجتمعة كما الألوان، فالأصفر يدل على المرض والأحمر على الدماء والأسود على الحزن، وقد أبدع الشعراء في توظيف عنصر اللون في إبراز المعاني.

لا شك أن المجازات تثري فضاءات التطور اللغوي، إلا أن المتأمل لها يجد بها نوعين، نوع يبقى ضمن دائرة محصورة بين الشعراء والأدباء، ونوع اشتهر ودخل طور الاستخدام الجماعي، فتوسعت دائرة المستخدمين له ولم يعد حكرا على الشعراء والأدباء، بل إنه قد يتطور وتختفي هذه العلاقة المجازية، وتألفه الناس ولا يعودون يستشعرون به نفح المجاز.

لكن ما الفرق بين الحقيقة والمجاز؟ ومن منهما الأول؟

الأصل بالكلام الحقيقة، إذا قلت أوصى لولده، لا يدخل بذلك ولد ولده، اسم الولد حقيقة في ولد الصلب.[50] فالأصل الحقيقة، أي النظر إلى المحسوس المعقول المدرك بالحواس، وللشرع في ذلك نظر، فالكلام يفسر على أصله وحقيقته، ولا يغفل السياق إن كان المقصود مجازا، ولا سيما أن التجريدات كلها مجاز.

---

[48] ينظر، مكرم، المشترك اللفظي، ص10

[49] ينظر، السعران/ محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 257.

[50] ينظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(911ه)، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية،دار الكتب العلمية،بيروت ، لبنان، ط1، 1983م، ص 65

الحقيقة : ما أقر بأصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك، ولا يكون إلا بالاتساع أو التوكيد أو التشبيه.[51] بهذا يتحدث ابن جني عن العلاقات الثلاث، فالحقيقة، أصل الوضع عنده، وأجدني أختلف معه إذ ربما كان أصل الوضع هو المجاز، ثم أطلق على عالم المحسوسات، لكنه يشير إلى علاقات الانتقال الثلاث، الاتساع والتوكيد والتشبيه.

- المطلب الثاني:النقل من السلف إلى الخلف.

ينطوي تحت هذا المطلب انحطاط الدلالة ورقيها، ولا يكون كل منهما إلا بتدرج يسوغ هذا الانتقال من إلى، فلا وصول إلا عبر طريق، فكيف يتحقق كل منهما؟

ونقل الكل إلى الجزء والجزء إلى الكل، ومن الأقوى إلى الأضعف ومن الأضعف إلى الأقوى، وانحدار الدلالة وتسامي الدلالة.[52] فكلمة بهلول: السيد الشريف، تطورت لتصبح الرجل المعتوه.[53] وهو انحطاط الدلالة[54] لكن لا يغفل وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل.[55] ولا سيما مصطلحات الفقه.[56]

لا شك أن للكلمات وجود من نوع خاص، قد تتقاطع بظروف سياسية واجتماعية تجعلها محط الأنظار والاحترام، بل إن الكلمة تكسب المتكلمين بها وجودهم ومنزلتهم، والكلمة قد يرتقي بها الاستعمال وقد يهبط، مثل ذلك كلمة أفندي، التي كانت تدل على صاحب مكانة، واليوم هبطت بها الدلالة لتصل إلى لقب استهزاء، والناظر إلى رحلة سير الكلمة لا يجد أنها قفزت من عليائها إلى حضيضها هكذا، بل إنها مرت بمراحل وتدرجات، كل تدرج يختلف عن الذي سبقه الشيء اليسير، وبقيت في تدرجها حتى وصلت إلى درجة مختلفة تماما بل لعلها على المعنى المناقض تماما، والفرق بين البداية والنهاية فرق كبير.

وعكسها رقي الدلالة مثل كلمة رسول لكل من يحمل رسالة، فارتقت لتدل على رسول يحمل رسالة سماوية.[57] وعلى الطرف الآخر تأتي أزمنة على اللفظة ترتقي بها المكانة الدلالية، حتى لتصل إلى درجة القداسة، ولا أجمل من كلمة رسول، التي إذا نطقت هب السامع إلى الدعاء مردفا- صلى الله عليه وسلم- تنزيها ودعاء وتقديسا.

- المطلب الثالث: سوء الفهم.

قد يقع سوء الفهم عند النقل فيشيع الخطأ ويبقى خطأ[58]. أما الخطأ الشائع فمن ظريف الأمور على أنه خطأ، إذ يتعارف الناس على اللفظ ويبقى هو العالق في الأذهان، بل ويستهجنون الصواب، ويحسبونه هو الخطأ، ولا أدري عندما قعد النحاة النحو ألم يقعدوا على الكثير المطرد، والآن يحفظ ويصوب كلما عن في كلام، وهو الكثير الشائع.

---

[51] ينظر، ابن جني، أبو الفتح عثمان(392هـ)، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العالمية،ص392

[52] ينظر، أبو عودة، التطور الدلالي، ص 56.

[53] ينظر، أبو عودة التطور الدلالي، ص 54 و عبد الوافي، علم اللغة، ص 223

[54] ينظر، أنيس،دلالة الألفاظ،ص156، والضامن، علم اللغة، ص 92-91

[55] ينظر، الشيخلي، خالد عبود حموي، نظر في نظرية السياق، دراسات بين القدماء والمحدثين، الجامعة المستنصرية، ص4

[56] ينظر، الضامن، علم اللغة، ص 94

[57] ينظر، أنيس، دلالة الألفاظ، ص 158 ، وعبد الوافي، علم اللغة، ص 224

[58] ينظر، الضامن، علم اللغة، ص 92-91، وأبو عودة، التطور الدلالي، ص55

- المطلب الرابع: تغير المعنى لتغير المدلول، بريد: الدابة التي ينقل عليها الرسائل، والآن مكتب وأدوات.[59] وتغير الدال لتغير المدلول أمر لازم ؛ إذ إن الزمن مغير مظهر الكلمات كما يغير مظهر وجغرافية الأرض، فاللفظ يدل على مدلول وجد في زمن، يختفي المدلول ويختفي الدال عليه بعدم الاستعمال لعدم الوجود، فإن تطور المدلول وبقي الدال، يبقى لكن دلالته مختلفة، مثال ذلك كلمة بريد فلا دابة ولا مكتوب بل مكتب أدواته متطورة وخدمته متطورة، لكن العلاقة تبقى مثبتة، ولا أحسب هذا النمط إلا نظرة عكسية للإحياء، النظر في القديم وإعادة توظيفه بمدلول جديد.

وأجدني قد وقفت غير مرة على مثل هذا الموقف، الجزء إلى الكل ، والكل إلى الجزء، ومن السبب إلى النتيجة، ومن النتيجة إلى السبب، والآن تغير المدلول وبقاء الدال يكافئ تماما الإحياء،ولكن كيف يكون للمدلول لفظين؟

تظهر الحاجة للجديد، فيسطع ولا يختفي القديم فيظهر المترادف، والمترادف:توالي الألفاظ الدالة على الشيء الواحد باعتبار واحد.الأسماء كثيرة والمسمى واحد.[60] وقد تتولد مع الجديدة أسرة لغوية وقد تبقى مستقلة.[61] وبالأسر اللغوية تصنف اللغات ويعاد تشكيلها وبناء مفرداتها .[62]والترادف: أن يكون للمعنى الواحد أسماء كثيرة، سليقة و نحيتة وطبيعة.[63]

تولد الكلمات بالحاجة إلى الجديد، وأحسبه سهل التمييز، لكن عندما يكون هذا الجديد بعثا وإحياء لقديم، – مثل سيارة– يظهر اللفظ بمعنيين قديم وحديث، والسياق يحكم أنها وظفت بالقديم أو بالمعنى الحديث، أما أن يظهر لفظ آخر لمدلول واحد فهنا ينشأ الترادف، المحكوم بالزمن ، إذ تتصارع فيه اللفظتان، فيكتب لأحدهما الدوران وتضمحل الأخرى وليس الفوز للجديد دائما.

أما فكرة الأسرة اللغوية، فمبدعة إذ لا يكتفي المتلقون للفظة بها فحسب بل يشتقون منها ويبدعون، فإذا قلت أسير، تقول أسرته وأسر ومأسور وآسر وهكذا، ولعل فكرة الأسر اللغوية اهتديت بها إلى كثير من العلاقات، فلا يزال الكلم يحمل من جيناته الوراثية أدلة تدل على أصوله، ولا تزال ملامح اللفظة واضحة بعد أجيال من أبنائها.

المبحث السادس: سمات التطور الدلالي:

بطيء وتلقائي ولا يكون إلا بعلاقة وهو جبري جماعي.[64]من يطلب المعنى في لفظه هلك، والمعاني موجودة في الأفكار والألفاظ معبرة عنها، فالفكرة تستدعيها الألفاظ، اللفظ يستدعي المدلول والمدلول يستدعي اللفظ.[65]

إن التطور الدلالي للفظة أو التراكيب لا يتحقق إلا في مدة تتناسب و تدرج الانتقال، لذلك يتسم بالبطء، وشرط تحققه وجود الرابط أو العلاقة، فالألفاظ عملة متداولة تعبر عن قيمة، إذ لا يتسنى التبايع بأنواع المملوكات، بل التبايع بالقيمة، أي العملة، كما العملة تعبر عن قيمة كذلك اللفظ يحمل قيمته، ويستدعي قدره، والقدر يثمن بعملة وقيمة وهكذا.

---

[59] ينظر، أبو عودة ، التطور الدلالي، ص55

[60] ينظر، الجرجاني، الشريف السيد علي بن محمد، معجم التعريفات، قاموس مصطلحات وتعريفات علم الفقه، واللغةوالفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دارالفضيلة ، القاهرة، ص 50 و 175

[61] ينظر، فندريس، اللغة، ص248

[62] ينظر،ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة : أحمد مختار عمر، دار الكتب العلمية ، مصر، ط8، 1998م، ص 55

[63] ينظر، ابن جني، الخصائص، ص242

[64] ينظر، الضامن ، علم اللغة، 153

[65] ينظر، عبد الغفار، السيد أحمد ،التطور اللغوي عند علماء أصول الفقه،دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 1996م، ص 141-142

- ماذا عن تصنيف هذا الكم الهائل من الدلالات؟

لجأ العلماء إلى ما يسمى بالحقول الدلالية، وذلك بناء على معايير صورية، وأخرى دلالية، والأخيرة منقسمة إلى: تراتب، وتقابل(تضاد)، وعلاقة بدء بعاقبة، وتدرج، وترادف، واشتمال.[66]

أما التراتب فمقصديتها الاستدعاء، أي أنك إذا ذكرت يد استدعى منك ذلك بقية الأعضاء، أي تحضر في ذهنك : رأس ، عنق، ساعد....الخ، أو أنك إذا ذكرت شيئا طرأ على خاطرك ما يترتب عليه، إذا تأخرت طرأ لك العقاب وهكذا.

والتقابل كذلك استحضار للشيء بذكر ضده، وللعرب تجارب مع معاجم الأضداد، ولا أجد في الأضداد إلا وسيلة لتوصيف الدال بذكر ضد مدلوله، وأجد فيه النسبية حاضرة، فلا سبيل إلى توصيف الصفة "صعب" إلا أن تقول ضد " سهل هين" إذ إن الصعب نسبي مختلف من شخص لآخر، كذلك أن تقول "ليل " وأن تستحضر ضده، ما هو الليل؟ تحتاج إلى كثير شرح ، لكن الضد يوضح الماهية بأقصر الطرق، والجميل في هذا الملمح، أن الأمور المراد التعبير عنها تمثل السهل الممتنع، هي من بسيط الدلالة، لكن إذا أردت توضيحها أو سئلت عنها يعوزك التعبير ولا تسعفك الأفكار بل ربما أننا بحاجة إلى وقفة، لماذا نستطيع أن نعبر عن الدلالات العصية، ويعوزنا التعبير عن الدلالات المعروفة؟

لعل هذا ما أشرت إليه في بداية الدراسة وهو الفجوة الدلالية، ففي اللغة بؤر معتمة تحتاج من يضيء أفقها؛ إذ هي مما كان مكشوفا واضحا لا يحتاج إلى توضيح، فإذا مر الزمن أعتم الفضاء حولها واستعصى على اللاحقين فهمها، ومثل هذه القضية فطن لها علماء الأنثروبولوجيا؛ فكثير من الأشياء التي بين أيدينا مفهومة لنا لا نلقي لها بالا، وسيكون القديم بالنسبة للاحقين وسيعنون في البحث عن ماهيتها، وليس من يفهما ويوضحها خير ممن عاصرها، كذلك الكلمات الموظفة بين أيدينا ونظن اننا لسنا بحاجة إلى توضيحها، وستكون يوما ما غامضة، فعلى عالم اللغة أن يهب لتدوين اللغة الموظفة الآن بكل مستحدث فيها، ويقدمها كبسولة زمانية للجيل اللغوي القادم، مما يذكر هنا مقولة لعلي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– " ربوا أولادكم لغير زمانكم" ومن عنده تبدأ الفكرة، اكتبوا لغتكم لغير زمانكم.

أما الحقول الدلالية المتعلقة بالبدء والعاقبة، فمما تستحضره الأذهان، فإن قلت" دواء" طرأ على خاطرك الشفاء، وإن قلت حمل، طرأ على خاطرك الولادة.. وهكذا، أي أن الأمور المبدوءة تستلزم ذكر خاتمتها، ولعل هذه الخاتمة عند ذكرها تكون بداية، تستلزم خاتمة جديدة.

وكذلك التدرج من خواطر الذهن، فعند ذكرك كلمة" طفل" يطرأ لك " غلام فتى شاب رجل...الخ" . والترادف مثل ذلك في قولك" أسد" يطرأ لك " ضرغام سبع هزبر ..الخ".

أما الاشتمال فمقارب لفكرة الأسر، أي أنك عند قولك "مهر" يطرأ لك أنه من الخيل، والخيل من الحيوان، وهكذا.

وهذا مما سبق وأشرت إليه عند الحديث عن الجينات الوراثية التي تحملها اللفظة، فبها تجذر الكلمة وتعاد إلى أصولها، و بها تتوقع السمات الدلالية في الأجيال اللاحقة.

ولا أجد في فكرة الحقول الدلالية إلا محاولة لرصد علاقات، والتي تبين لي من خلال الدرس والتدبر أن العلاقات في التطور الدلالي لا تكون مجاورة زمنية ومكانية ومجاز فحسب، بل هي وينضاف إليها العلاقات المذكورة في ميدان الحقول الدلالية(التراتب

[66] ينظر، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه، ص 76-72

والبدء بالعاقبة و التدرج و التضـــاد الترادف والاشـــتمال) يكون بالتطور الواحد غير واحدة منها ، أما التســـمية فللأزعم بينها وللأكثر ظهورا وأثرا.

وإن نظرت بالعلاقات الجامعة للحقول الدلالية، وجدت علاقات من نوعين: التناسل والمصاهرة.

التناســـل الجذور، الكلمات تتقارب باللفظ فتتقارب بالمعنى، بل إن الجذور في اجتماعها اســـتدعاء لمعنى مشـــترك، والجينات ملامح تظهر في الألفاظ، بتطوراتها تبقى عالقة بها، بل بها ترد إلى أصولها.

والتصاهر: علاقة تكتسبها الكلمة من خلال كلمة أخرى مثل التضاد والتقابل والتدرج، تكتسب صلتها وحقلها الدلالي من خلال مكانتها وموقعها من الكلمة الأخرى.

إن الطريقة البراغماتية في مثل هذه الحالات هي محاولة تفسير كل فكرة بتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية كلا على حدة.[67] و لا شك أن الأشياء وإن اتسقت بأنظمة عامة، فإن لكل منها بصمة هي علامة التفرد بها، ولذلك فإن اللغة على مسالكها تدرج ألفاظها وترسم لها خطوط تطورها، مع حفظ الخصوصية، وكل ذلك إنما يصب في براغماتية اللغة، التي هي تحقيق المنفعة والوصول، بتتبع أي الطرق، وما محاولة الباحثة إلا رصد ووصف لطرق التنقل الرشيق بين الدلالات لإيجاد مسوغ الانتقال ومنطقته.

آية ذلك التطبيق من باب "مما يضعه الناس في غير موضعه"

- مما وضعه الناس في غير موضعه من الكلمات.

تخيرت الباحثة كلمة واحدة من كل باب؛ إذ الدراسة لا تتسع للكلمات كلها، وآية البحث النقصان، ولايزال الميدان مفتوحا أمام من ينوي الاستكمال.

الآري: المعلف، والأصل : محبس الدابة.[68]

أري:الهمزة والراء والياء أصل يدل على التثبت والملازمة، ومنه التزق بالقدر، والعسل الملتزق بالعسالة،[69] وأرت النحلة عملت العسل، وهو الكسب، ومن المجاز أري الجنوب المطر،[70] وأري الريح سوقها الندى الملتصق بأوراق الشجر، وأرت الدابة : التصقت بمعلفها، ويقال للمعلف آري وهذا مما وضعه الناس في غير موضعه، والجمع أواري، وهو محبس الدابة، وتأريت بالمكان: أقمت به.[71]

---

[67] ينظر، جيمس، وليام، البراجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، وزكي نجب محمود، القاهرة، الهيئة العامة دار الكتب والوثائق القومية، 2008م، ص 64ج

[68] ينظر، ابن السكيت (244ه)، إصلاح المنطق،شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون،دار المعارف ، ص 313-314

[69] -ينظر، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام هارون، ج1، دار الفكر، 1979م، ص 88-89

[70] ينظر، الزمخشري، أو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد (538ه)أساس البلاغة، تحقيق: أحمد باسل عيون السود،ج1،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998م، ص 25

[7171] ينظر، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري،لسان العرب، مادة أري دار صادر، مجلد 14ص 31-28

الإرة: الحفرة التي تشعل بها نار الخبز، ويقال إرة للنار بعينها. [72] زيد على ما سبق، الأري: الأصل الثابت، ومنه الإرة: شحم سنام الجمل.[73]

إنما اجتماع هذه الحروف لمعنى الالتصاق،وهنا الإبداع؛ إذ الإطلاق الأول هو الإيجاد من العدم، ثم بدأت الخروجات، فمن الطعام الملتصق بالقدر، إلى العسل الملتصق بالعسالة، فالأصل الملازمة والالتصاق، ثم أطلق على الكسب إذ خير من عمل وكسب هو النحل، وكسبها ملتصق مجموع ليس به إلا الخير والشفاء، والخروج من الطعام الملتصق إلى العسل عبر علاقة المشابهة، فالعسل ملتصق بالعسالة مثل الطعام إذا التصق بالقدر، وهذا هو الخروج الأول.

أما من العسل إلى الكسب فتوسعة بالدلالة، من العسل وهو الخاص، إلى الكسب إجمالا وهو العام، فجنى النحل كسب أطلق الآري عليه أولا، ثم أطلقت اللفظة على الكسب بأنواعه.

أما الخروج إلى الندى الملتصق بأوراق الشجر فعبر علاقة المشابهة، فكما العسل يجمع ويبقى ملتصقا كذلك الندى يجتمع ويلتصق على أوراق الشجر، والندى والعسل كسب وخير واجتماع والتصاق.

ثم خرج المعنى إلى المقيم الملازم للمكان الملاصق له والعلاقة بهذا الخروج هي المشابهة أيضا إذ المقيم ملاصق ملازم، ولا يلزم المكان بالإقامة إلا وقد اجتمع لمقامه الخير.

وانتهاء بالدابة ومعلفها وهو مكان طعامها الذي تلزمه وتلتصق به على وجه التشبيه، جلها معان وتوظيفات تحمل معنى اللزوم والملاصقة والاجتماع والخير والكسب.

فإن كان الأصل في الوضع هو محبس الدابة، أي المكان الذي تحبس به وتلزمه قسرا، فكيف انتقلت الدلالة لتدل على المعلف وهو مكان الطعام؟ إن ممر العبور هو علاقة المجاورة المكانية، فالمحبس لا شك به معلف، وإن حبست الدابة فلا سبيل إلى فضاء ولا إلى مسير فليس لها إلا ملازمة المعلف الذي لزمته مختارة بعد أن حبست قسرا.

ولعل في التطور ملمح آخر لمجاورة زمانية، فبعد حبسها تلزم معلفها، أي عند استسلام الدابة للحبس تلزم معلفها، ثم سمي المحبس بتسمية المعلف مجازا، بل إنني أجد علاقة أخرى بهذا الانتقال إذ هي انتقال من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء، ومن الشامل إلى الفرع، فمؤكد أن المحبس به معلف للدابة، والكل هو المحبس والفرع هو المعلف، فهذا التطور بالاستخدام لم يكن إلا مضمومة من العلاقات الانتقالية : المجاورة المكانية والزمانية والمجاز ومن الشمول إلى الخاص.

والانتقال لم يفض إلى غريب انتقال بين الاشتقاقات، محبس: اسم مكان، ومعلف: اسم آلة ومكان.بل إنني أجد ملمحا آخر ورد عند الزبيدي، فالأري الأصل الثابت، والمعلف يحفر له ويثبت بالأرض لئلا تقلبه الدابة، ربما كان هو الأصل والانتقال إلى دلالة المحبس هي الانتقال، فالمحبس لا يعد ثباتا قياسا بتثبيت المعلف للدابة، فهنا علاقة انتقال مكاني بعد مشابهة بالثبات، فمن المعلف بصفة الثبات إلى المحبس.

---

[72] ينظر، الأنباري النحوي، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، صيدا، ص 319.

[73] ينظر، الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:مصطفى حجازي، مراجعة: محمد حماسة عبد اللطيف،مؤسسة الرسالة، الكويت،ط1، 2001م، ص67-60

ولا أجد اللفظة قد تجردت من معنى من معانيها خلال تطورها، بل إنها أصـــبحت أكثر ثراء وغنى، وأصـــبحت تحمل معناها الأول بالإضافة إلى معان جديدة، فهي حاملة لملامحها الأولى في كل مراحل توسمها دلالات جديدة، واللغة بنفعيتها تحكم هذا التطور بل وتجد له التفسير المنطقي في كل مرحلة.

- مما يضعه الناس في غير موضعه من التراكيب.

تخيرت الباحثة من الأمثال ما وجدت به الشهرة- على حد علمها- .

معظم ما ورد في هذا الباب من الأمثال، والمثل: حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، بما كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح.[74]

غل قمل: كانوا يتخذون من القد أغلالا فتقمل.[75]

كان الأسـير يربط بالقد(الجلد) وهو مشـعر فيقمل، فيجد الأسـير منه من الأذى فوق ما يجد من الغل(القيد)يضـرب مثلا للمرأة السيئة،[76]والمرأة السيئة غل قمل وجرح لا يندمل.[77]

والمعنى على التشبيه والتمثيل، في الوضع الأول حقيقة، يقيد الأسير بغل قد فيقمل، فيجد منه الأذى من الربط والشد ومن القمل وهو حشرة مؤذية، ثم أصبح مثلا لكل ما يلزم الإنسان من سوء.

ثم خرجت الدلالة إلى المرأة فهي قيد يغل به الرجل، لما في الزواج من الملازمة والالتزام بما يشبه القيد، فإذا كان القيد قدا قملا، كان بئس القيد والغل، فالعلاقة على التشـــبيه، فالمرأة الســـيئة مثل الغل القمل، ومن العام الشـــدة الملازمة في كل حال، إلى الخاص، خصص لتعني به المرأة السيئة على وجه التخصيص والتحديد.

- ما يضعه الناس في غير موضعه من الخلط والخطأ "قل ولا تقل"

إن ما أدرج في هذا الباب، وقد صرح صاحبه بقولة" قل، ولا تقل" يتعلق بالهدف من تأليفه هذا الكتاب، وهو إصلاح لحن العامة، أما ما أدرجه فقد تعلق بأخطاء الاسـتعمال،وقد وقع الخطأ إما في التوظيف الدلالي، أو النحوي أو الصـرفي، أو حتى الصـوتي، ولعل بعضها متعالق ببعض، فكل تغير أو خطأ —حسب معيار الصواب والخطأ- ينتج عنه اختلاف متحقق في الدلالة، أو يمهد الطريق أمام دلالة متغيرة جديدة، فتخيرت الباحثة من الأمثلة ما وجدت به التنوع من الخروج الدلالي(المزادة والراوية) أو الصـــوتي(ضـــفيرة وظفيرة) النحوي(التأنيث والتذكير في بعير وبعيرة) أو الصـــرفي(يتندّى ويندى)، وقد تخيرت الباحثة ميدان الأصـــوات إذ إنه مما باب يستبعد إذا ذكرت الدلالة.

- قل ضفرت المرأة شعرها، لها ضفيرتان وضفران، ولا تقل ظفرت ولها ظفيرتان،[78]

---

[74] ينظر، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، حققه، محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، 1986م، ج1، ص 486

[75] ينظر، ابن السكيت، إصلاح المنطق ص 318، المبرد، الكامل، ص 593

[76] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ص 569-568

[77] ينظر،الزمخشري، أساس البلاغة، ص708

[78] ينظر، ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص331

الضاد والفاء والراء، أصل واحد وهو ضم الشيء إلى الشيء نسجا واحدا، ومنه ضفائر الشعر، وتضافروا تعاونوا والمعنى اقتربوا حتى يشد كل واحد ضفيرته بالآخر،[79]

اجتماع الحروف بمعنى الضم، ومنه العلاقة على التشبيه بين الرجال إذا تضافروا كأنهم نسيج واحد.

والضفر نسج الشعر، وانضفر الحبلان التويا،وقيل الضفائر للرجال والغدائر للنساء، وتضافر القوم تظاهروا،[80] وتضافروا تعاونوا.[81]ضفرت، تضافروا تعاونوا،[82]

الضفر من النسج والالتواء والضم لتحقيق القوة، والتضافر والاجتماع يعطي القوة، والتعاون والاتحاد يزيد في القوة، لكن كيف انتقل اللفظ من الضفر إلى الظفر؟

قد يكون الانتقال الدلالي هادفا لإثبات علاقة السبب بالنتيجة، فالتضافر يسبب الظفر والفوز، فالقوم المجتمعون على عدو حليفهم الفوز والظفر لا محالة- حسب تقديرات العقل والمنطق- فمن الممكن أن تكون الدلالة قد انتقلت من السبب إلى النتيجة.

والظفر: أظافر وأظافير، والضفيرة من الشعر وجمعها ضفائر، وكل ما فتل من حبل ونحوه.[83] والظاء والفاء والراء أصلان القهر والفوز والغلبة، والقوة بالشيء،وهما متقاربان بالقياس.[84]

الظفر من الظفر وهو الجزء القاسي المغطي لطرف الإصبع، والظفر قوة وغلبة، والظفر يعطي معنى القهر والفوز، والعلاقة بينهما علاقة وجهين لعملة واحدة، فالغالب ظفر، والمغلوب المقهور ظفر به، فالظفر متحقق والنتيجة وجود طرفين غالب ومغلوب، وكلاهما ظفر، فالعلاقة على التضاد.

الظفر: الفوز، والجمع ظُفُر،و الذفر: المسك، والضفر: العدو الشديد وفتل الشعر ونسجه، والحزام.[85] والظفر لا يصيد والمخلب يصيد، والظفر لحمة تنبت في طرف العين،وظفر عليه فزت، ظفار منطقة.[86] ظفر: غلب وأظفر طويل الظفر، وظفر لا يعود إلا بالنصر،ظفرت به فزت عليه، والأظفار مرض وعطر ومعقد الوتر.[87]

الظفر: الفوز، والذفر:المسك، والضفر: الفتل، كل ذلك إبدالات صوتية، إلا أن الانتقال الواضح هو من ضفر إلى ظفر ولا تزال الفكرة حول الشعر والنسج والجدل، والتعاون والاجتماع لتحقيق النصر، لعل الانتقال هدفه التسهيل الصوتي، ومما لا شك به أن

---

[79] ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3ص 366

[80] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 491

[81] ينظر، أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي(351هـ)، الإبدال، حققه وشرحه ونشر حواشيه: عز الدين التنوخي، دمشق، 1961م،ص 271

[82] ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة، ص 584

[83] ينظر، الداني، الفرق بين الضاد والظاء، ص81

[84] ينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 465-466

[85] ينظر، البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد(521)، ذكر الفرق بين الاحرف الخمسة(الظاء والضاد والذال والصاد والسين)تحقيق: حمزة عبد الله النشرني، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 27-28و 49-50.

[86] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ص517-520

[87] ينظر، الزمخشري، أساس البلاغة، ص623-624

الظاء حرف أسهل من الضاد، وربما هذا من انعكاس الدلالة على الأصوات ، ولا شك أن الأصوات قاعدة اللغة وأساسها قبل اجتماعها وتشعبها في مستوياتها، فلماذا الخلط واللحن– على حد تسمية المتقدمين– بين هذين الحرفين؟

الضاد مخرجها حافة اللسان من أقصاها إلى ما يلي الأضراس، ومن الناس من يخرجها من الجانب الأيمن وهو الأقل ومن الناس من يخرجها من الأيسر وهو الأكثر، وليس يخرج من مخرجها غيرها، والضاد حرف مستطيل، والضاد مجهورة مطبقة مستعلية لأن اللسان ينطبق بها على الحنك ويعلو.[88] والضاد مخرجها الشدق وهي رخوة، والظاء طرف الثنايا العليا.[89] وصفة الحرف تدل على صعوبته من جهة، وعلى طرق نطق الناس به من أخرى، وليس من الحروف ما يخرج من مخرجه غيرها– إذا نطقت حسب الوصف–.

والضاد حرف انفر بالاستطالة وليس بين الحروف ما يتغير مثله والناس تخرجه ظاء أو تمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاما مفخمة، ومنهم من يشممه بالزاي وكل ذلك لا يجوز، والظاء حرف عربي خص به العرب، والضاد يشبهه في كل شيء إلا الاستطالة، لذلك عسر التمييز بينهما.[90] لا يختلف الظاء عن الضاد إلا بالاستطالة، لذلك يعسر التفرقة بينهما، بل لم أجد من قاعدة حقيقية تفرق بينهما، وأحسب أن الخروج بين هاتين اللفظتين إنما أساسه الخلط بين الحرفين، ولا مقصدية للدلالة فيها.

والظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ويخرج من ذلك الموضع (ذ ث) وهي مجهورة رخوة مستعلية، والفرق بينها وبين الضاد في المخرج والاستطالة لا غير وهي موافقة لها بالجهر والرخاوة والاستعلاء والإطباق.[91] يتفق مع الظاء (ذ ث) لكن لا يتحقق الخلط في هذه الحروف، إنما الخلط بين (ظ ض)، بل إن العامة تخرج (ظ) (ض) تمدنا وترقيقا، على أن الباحثة تجد في الضاد حرفا غير منطوق وفق ما وصف في آلية لفظه، لذلك اليوم يخرجون من (ظ) إلى (ض)، أما في القديم فالخروج من (ض) إلى (ظ) إذ هو الأسهل لفظا قديما.

قد يكون الانتقال سببه المماثلة: تأثر الأصوات بعضها ببعض والمجاورة هي السبب، وقد تكون كلية أو جزئية.[92] والخلط قد وصل إلى الكتابة؛ إذ الإنسان يكتب ما يسمع.[93] والظاء إظهار طرف اللسان في النطق.[94]

لا شك أن الكتابة ترصد ما سمع، فإن كان المسموع خطأ كان المكتوب خطأ، ولعل في التبدلات الصوتية بين(ظفر وضفر) أسباب صوتية، بالميل إلى السهولة اللفظية.

---

[88] ينظر، الداني، أبو عمرو، الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام،(442هـ) تحقيق: حاتم صالح الضامن، سوريا دمشق،دار البشائر، ص32

[89] ينظر، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(285هـ)المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، مصر، ط3، ج1، 1994م، ص 329

[90] ينظر، الموصلي، أبو بكر عبد الله بن علي الشيباني،(797هـ) الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، ط1، 2003م، ص 5 و28 و 44

[91] ينظر، الداني، الفرق بين الضاد والظاء، ص 33

[92] ينظر، أنيس، إبراهيم،الأصوات اللغوية،مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م، ص 178.

[93] ينظر، الشريف، نضال أحمد، صوت الضاد في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخية، رسالة ماجستير، إشراف: محمد رمضان البع،الجامعة الإسلامية غزة، 2017م،ص49

[94] ينظر، ابن الصابوني، أبو بكر محمد بن أحمد الصدفي الإشبيلي،(634هـ)معرفة الفرق بين الضاد والظاء،تحقيق: محمد صالح الضامن، دار نينوى، ط1، 2005م، ص 13

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها:

- ابن السكيت ليس أول من تنبه إلى خروج الاستعمال عن أصل الوضع.
- هدف ابن السكيت من الكتاب كتاب " إصلاح المنطق" إصلاح لحن العامة، وليس علم المنطق.
- مقصدية المنطق من اسم الكتاب هي النطق، لا المنطق.
- لم يتفق العلماء على قضية التسمية للتطور الدلالي، تغير أم تطور.
- لم يتفق العلماء على قضية إيجابية التطور الدلالي، فمنهم من يجدها علامة حياة للغة ووجود، ومنهم من يجدها انزياحات عن الاستخدام الأمثل للغة.
- خلط العلماء بين مظاهر التطور الدلالي وأسبابه.
- لا تقتصر العلاقات على المجاورة الزمانية والمكانية والمجاز، بل تتعداها إلى أكثر من ذلك.
- لا يقتصر التطور الدلالي على علاقة واحد بل هو عدة علاقات والتسمية للعلاقة الاظهر بينها.
- لا يكون التطور اللغوي واحدا، بل لكل لفظة استراتيجية في التطور، وتوصيف خاص بها على عمومية الأحكام عليها.
- الحاجة والنفعية تحكم التطور اللغوي، بترقية الدلالة أو الهبوط بها.
- الجانب الاجتماعي أكبر العوامل أثرا على التطور اللغوي.
- الخلاف بين أصل الوضع والاستعمال قائم على علاقة وباستكناه هذه العلاقة يزول اللبس والعجب.
- الإبداع متحقق في كل أنماط التطور اللغوي، بل حتى في التحور عبر العلاقات المتعددة للوصول إلى الهدف.
- فكرة الحقول الدلالية فكرة مبدعة، بل وتشير إلى علاقات أخرى فطن الباحثون لها لكنهم لم يدرجوها عند حديثهم عن العلاقات.
- فكرة الحقول الدلالية، تقوم على التناسل والمصاهرة.
- التناسل: كلمات تنتمي إلى جذور والرابط علاقة، وخير من أشار إلى ذلك ابن فارس.
- والتصاهر: كلمات اكتسبت صلتها بالكلمات من خلال الضد والبعد والعلاقات المنطقية من تراتب وتدرج دون تقارب في اللفظ والدلالة.
- معيار الصواب والخطأ معيار صارم بوجه سلبي إذا نظر إلى الدلالة، أما إذا نظر إلى الجوانب المعيارية النحو والصرف فهو صارم بإيجابية.
- لا يزال المعجميون يسيطر عليهم النحاة ومنهجهم المعياري الحاسم في قضية الصواب والخطأ.